Arabian Gulf Journal of Humanities and Social Studies

ISSN: 3080-4086

الإصدار السادس - العدد السادس عشر || تاريخ الإصدار 2026-07-20

نقد مركزية الغرب في نظريات العلاقات الدولية من منظور ما بعد الاستعمار - دراسة فلسفية نقدية

Critiquing Western-Centrism in International Relations Theories from a Postcolonial Perspective: A Critical Philosophical Study

سائد حكم الخراز

Saed Kharaz

علوم سياسية وعلاقات دبلوماسية رقمية

DOI: https://doi.org/10.64355/agjhss6168

مجلة خليج العرب للدراسات الإنسانية والاجتماعية || هذه المقالة مفتوحة المصدر موزعة بموجب شروط وأحكام ترخيص مؤسسة المشاع الإبداعي(CC BY-NC-SA)

الملخص:
ينطلق هذا البحث من ملاحظة أولية قد تبدو مألوفة لمن يقرأ في حقل العلاقات الدولية , لكنه من الممكن نكتشف عن إشكال أعمق حين تقرأ من اطلالة فلسفية نقدية بحتية , فكثير من النظريات الان الموجودة في الحقل قدمت نفسها كما لو انها تتحدث عن العالم باكمله وتصف منطق السياسة الدولية بوصفه منطق عام يصلح لكل زمان ومكان بغض النظر غن المجتمع , غير ان هذه النظريات في جانب مهم منها لم تنشأ خارج التاريخ ولا في فضاء معرفي محايد .. بل تواجدت وتأسست داخل تجربة غربية محددة اي يعني تجربة الدولة القومية الأوروبية وصراعات القوى الكبرى والتوسع الاستعماري ثم لاحقاً الهيمنة الأمريكية على المؤسسات الأكاديمية ومراكز إنتاج المعرفة والفكر .

ولا يسعى هذا البحث إلى انكار القيمة النظرية لما قدمه الفكر الغربي في دراسة العلاقات الدولية ولا الى التعامل معه بوصفه كتلة واحدة ينبغي علينا ان نرفضها جميعا , بل في هذا الموقف يكون تبسيطا بقدر ما هو غير منتج معرفيا او فكريا , ان ما يحاول البحث مسائلته هو تلك الدقيقة او اللحظة التي تتحول فيها تجربة تاريخية خاصة الى معيار كوني قيمي لفهم العالم بحيث تصبح خبرة الغرب هي الأصل وما عداها مجرد إستثناء أو تأخر أو حالة تحتاج الى تفسير من مجتمع من الخارج

من هذه الزاوي يستفيد البحث من أدوات النقدما بعد الاستعمار كما تظهر عند الكاتب ادوارد سعيد وفرانز فانون وغاياتري سبيفاك وهومي بابا الى جانب اسهامات الكاتب جون هوبسون وباري وبوزان والعديد العديد , من اجل فحص الطريقة التي جرى بها تمثيل العالم عن بناء النظرية بل في نظريات العلاقات الدولية أصلا , فالمشكلة لا تتواجد في غياب هذا العالم عن بناء النظرية بل في حضوره المشروط بالتاكيد بوصفه هامشا او حالة ناقصة او مجال لتطبيق مفاهيم عرفت وصيغت في مكان اخر لا بوصفه مصدر قادر على انتاج مفاهيم خالصة وخاصة حول السلطة والنظام والعدالة والعلاقات والحرية والدولة ..

وعلى هذه الأساس لا ينتهي البحث الى الدعوة لهدم النظرية الدولية اتو القطيعة الكاملة معها بل اعادة فتحها على تاريخ عالمي أوسع وعلى تعددية معرفية أكثر أنصاف فخبرات العرب والافارقة الآسيوين ليست مجرد وقائع محلية تضاف الى هوامش انلظرية بل يمكن النظر اليهتا بوصفها موافقع تغفكير ومعرفية حقيقية قادرة على مسائلة المفاهيم المتواجدة واقتراح تصورات ونظريات أخرى لمعنى النظام الدولي ولحدود القوة ولمفهوم العدالة في عالم لم يكن الغرب وحد من صنعه وان كان قد امتلك طويلاً سلطة تفسره وتحلله.

الكلمات المفتاحية: مركزية الغرب، ما بعد الاستعمار، العلاقات الدولية، الاستشراق، التابع، الهجنة، النظرية الدولية، العدالة المعرفية.

Abstract:

This study begins with an initial observation that may appear familiar to scholars of International Relations but reveals a deeper problem when examined through a critical philosophical lens. Many of the dominant theories in the field present themselves as universal frameworks capable of explaining international politics across all historical periods and social contexts. However, these theories did not emerge outside history or within a neutral epistemological space. Rather, they were formulated within the specific historical experience of the European nation-state, shaped by great-power rivalries, colonial expansion, and, later, the intellectual dominance of the United States over academic institutions and global knowledge production.

The study does not seek to deny the theoretical contributions of Western scholarship to the discipline of International Relations, nor does it advocate rejecting Western theories as a homogeneous body of thought. Such a position would be both intellectually reductive and analytically unproductive. Instead, the research critically examines the historical moment in which a particular Western experience was transformed into a universal normative standard for interpreting world politics, whereby the Western experience became the norm while all other experiences were regarded as exceptions, delayed developments, or cases requiring explanation through externally constructed conceptual frameworks.

Drawing on postcolonial criticism, particularly the works of Edward Said, Frantz Fanon, Gayatri Chakravorty Spivak, and Homi K. Bhabha, alongside the contributions of John M. Hobson, Barry Buzan, and others, the study investigates the ways in which the non-Western world has been represented within International Relations theory. The problem lies not in the absence of non-Western societies from theoretical discourse but in their conditional presence as peripheral, incomplete, or merely empirical cases to which concepts developed elsewhere are applied, rather than as legitimate sources of original theoretical insights into power, order, justice, freedom, the state, and international relations.

The study concludes that overcoming Western-centrism does not require abandoning International Relations theory or severing ties with its intellectual traditions. Rather, it calls for reopening the discipline to a broader global history and a more inclusive form of epistemic pluralism. The historical experiences of Arab, African, and Asian societies should not be viewed merely as local cases appended to existing theories, but as genuine sites of knowledge production capable of questioning established concepts and generating alternative understandings of international order, the limits of power, and the meaning of justice in a world that was not shaped by the West alone, even if the West long possessed the authority to define and interpret it.

Keywords: Western-centrism, Postcolonialism, International Relations, Orientalism, Subaltern, Hybridity, International Relations Theory, Epistemic Justice.

المقدمة

اكتسب حقل العلاقات الدولية الدبلوماسية منذ تأسسه المؤسسي وتبلوره في القرن العشرين صورة العلم الذي يشرح فلسفة ومنطق النظام العالمي من موقع الحياد ' غير أن مراجعات تاريخ الحقل أظهرت بأن هذا الادعاء لا يمكن فصله عن مسار تشكل جغرافي ومعرفي محدد فالحقل تطور أصلا في الجامعات البريطانية من ثم الأمريكية حتى وصفه الكاتب ستانلي هوفمان بأنه علم أجتماع أمريكي , ولاحقا رأى أولي بأن هذا الحقل ليس دوليا بالقدر الذي يمكن فهمه من أسمه كما ان السرد المؤسس له بقي مرتبط بنقطة بداية أوروبية , أي وستفاليا والدولة السيادية وتوازن القوى بينما دفعت الامبراطوريات والاستعمار والعلاقات بين القوي والضعيف الى الهامش النظري وهذا التكوين لا يجعل النظرية غربية من حيث النشأة بل يجعل معاييرها ومفاهيمها ومشكلاتها البحثية مشدودة ومجذوبة الى خبرة الغرب في فهم ذاته والعالم.

إشكالية البحث :

تتمثل الاشكالية المركزية في السؤال التالي : كيف تسللت مركزية الغرب الى بنية نظرية العلاقات الدولية ليس فقط في موضوعاتها الصريحة والمباشرة بل عبر افتراضاتها الاساسية عن الدولة والسيادة والفوضى والتقدم والعالمية والتطور والخ.., بحيث بدا التاريخ الأوروبي وكأنه التاريخ الطبيعي للجميع وما مدى قدرة منظور ما بعد الاستعمار على كشف الانحياز؟ دون أن يوقع في إنكار تبسيطي لكل ما انظر في النظرية الغربية هذه المشكلة تضعنا امام مسألة فلسفية قبل أن تكون مسألة مدرسية من أين تتكلم النظرية حين تزعم الكونية ومن الذي يستبعد هذا الادعاء وبأي حق ؟ أو بأي صورة؟

أسئلة البحث :

يتفرع من هذه الاشكالية عدد من الاسئلة يرتبط كل واحد منها بالاخر واهمها : ما المقصود بمركزية الغرب في سياق العلاقات الدولية ؟ , هل هي وصف جغرافي ؟ ام بنية معيارية معرفية ؟ , كيف حضرت هذه المركزية في الواقعية والليبرالية ونظرية التحديث ؟ كيف فسرو المفكرون ما بعد الاستعمار العلاقة بين المعرفة والسلطة والتمثيل ؟ هل يكفي توسع قائمة القراءات لتجاوز المركزية الاوروبية ام ان المطلوب اعمق من ذلك ؟ اي مراجعة شروط إنتاج النظرية بذاتها ؟

فرضية البحث :

يقوم هذا البحث على فرضية أساسية مفادها ان مركزية الغرب في حقل العلاقات الدولية لا يمكن فهمها بوصفها مجرد أثر جانبي أو انحياز خارجي طارئ على النظرية بل هي متشابكة مع التكوين المفهومي للحقل نفسه فكثير من المفاهيم التي تبدو لنا عامة ومحايدة مثل الدولة والسيادة والخ , تشكلت داخل مسار تاريخي أوروبي أمريكي محدد ثم جرى تعميمها على الدول والشعوب وكما لو انها تمثل الإطار الطبيعي لفهم السياسة العالمية بأكملها.

ومن هنا يفترض البحث أن نقد هذه المركزية لا يتحقق بمجرد توسيع قائمة المراجع أو أدخال غير غربية الى النقاش رغم أهمية ذلك بل يتطلب مسائلة أعمق للمعايير التي حددت منذ البداية ما الذي يعد نظرية وما الذي يترك خارجها فخبرات المجتمعات غير الغربية كثيراً ما عوملت بوصفها حالات محلية اومواد وصفية او امثلة تطبيقية لا بوصفها مصادر قادرة على انتاج مفاهيم نظرية بذاتها لذلك فان تجاوز مركزية الغرب يقتضي اعادة التفكير في شروط بناء المعرفة داخل حقل العلاقات وفي الحدود التي رسمت بين النظرية من جهة والتجربة التاريخية غير الغربية من جهة أخرى.

أهمية البحث :

تتبع أهمية هذا الموضوع من أنه يتصل بطبيعة المعرفة الدولية نفسها فاذ كان النظرية تنتج خرائط للفهم فان الخرائط المنحازة لا تكتفي بوصف العالم بل تعيد ترتيب ما يرى وما لا يرى داخله , ولهذا فان نقد مركزية الغرب ليس تمرينا لغوي ولا مجرد مطالبة رمزية بتمثيل أوسع بل محاولة لتوسيع افق النظرية حتى تصبح أقدر على فهم عالم تشكل بالتوازي عبر الاستعمار والعبودية والتبعية والمقاومة والهجرات والحدود المفروضة لا عبر التاريخ الاوروبي وحده , بل تزداد أهمية هذا النقد حين نلاحظ ان مساهمات العالم العربي وافريقيا واسيا كثيراً ما تستقبل في الحقل بوصفها دراسات مناطق او مادة تطبيقية لا بوصفها مساهمات نظرية

منهجية البحث :

ينطلق هذا البحث من قراءة تحليلية نقدية ذات أفق فلسفي لا تكتفي بتلخيص نظريات العلاقات الدولية أو ترتيبهافي مسار تاريخي جاهز بل تحاول مساءلة الشروط التي جعلت بعض المفاهيم تبدو بأنها محايدة وكونية لذلك يجمع البحث بين القراءة المفهومية التي تفكك دلالات المفاهيم وحدودها والجينالوجيا الفكرية التي تعيد هذه المفاهيم الى سياقات نشأتها إضافة إلى قراءات ما بعد استعمارية للنصوص المؤسسة في الحقل ويستفيد البحث هنا من الحس النقدي عند روبرت كوكس خصوصا فكرته ان النظرية لا تولد خارج التاريخ بل تصدر دائما عن موقع اجتماعي وسياسي ومعرفي محدد كما يتكئ على منهج " القراءة الطباقية " كما طورته بينار بيلغين استلهاماً من الكاتب الفلسطيني إدوارد سعيد بوصفه منهج يقرأ النصوص االدولية من داخل أصواتها المتعددة وتواريخها المتداخلة لا من خلال الصوت الغربي المهيمن وحده ومن هذا المنظور لا يسعى البحث الى رفض الغرب او انكار اسهامات النظرية بل الى نقد اللحظة التي تتحول فيها تجربة تارخيية خاصة الى معيار عام يقاس عليه العالم كله ولهذا فان مهمة البحث ليست عرض ما قالته النظريات فقط بل تتبع ما صمتت عنه وما تم استبعاده وما جعلته خارج مجال النظرية كي تقوم بالحفاظ عل بصورتها بوصفها معرفة عالمية ومحايدة.

خطة البحث :

تتوزع خطة البحث على أربعة مباحث تتدرج من التحديد المفهومي الى النقد النظري ثم الى محاولة البناء , يبدأ البحث أولا بتوضيح مفهوم ومعنى مركزية الغرب , لا بوصفها مجرد حضور للغرب في المعرفة بل بوصفها نزعة تجعل التجربة الغربية اصلا تقاس عليه التجارب الأخرى وفي السياق نفسه يتناول البحث مفهوم ما بعد الاستعمار باعتباره أفق نقدي يراجع علاقة المعرفة بالسلطة والتاريخ والهيمنة , وما بعد ذلك ينتقل البحث الى تتبع حضور هذه المركزية داخل النظريات الكبرى في العلاقات الدولية محولاً كشف عن الصور التي تظهر في اوروبا والغرب بوصفهما مركز الفعل والتفسير والمعيار ثم يخصص المبحث الثالث لفحص الادوات التي يتيحها النقد ما بعد الاستعماري في مساءلة المعرفة الغربية داخل الحقل وخصوصا ما يتعلق بالصمت والاستبعاد وتمثيل الاخر وادعاء الحياد اما اخيرا وليس آخراً يحاول ان يفتح المجال امام فهم اكثر تعددية وعدالة للعلاقات الدولية فهم لا يستبدل مركزا باخر ولا يحول الهامش الى مركز جديد بل يسعى الى تفكيك فكرة المركز الواحد من أساسها بما يسمح قراءة العالم من خلال تعدد تجاربة ومساراته التاريخية

مفهوم مركزية الغرب وما بعد الاستعمار :

حين يوصف حقل العلاقات الدولية بانه حقل متمركز حول الغرب فالامر لا يتعلق فقط بان جانب كبير من ادبياته كتب باللغة الانجليزية او انه تشكل داخل جامعات ومراكز بحث غربية هذه ملاحظة بالفعل صحيحة لكنها لا تكفي وحدها لفهم عمق المشكلة والمقصود بمركزية الغرب ان التجربة الأوروبية الحديثة كثيرا ما تعامل بصورة مباشرة او ضمنية بوصفها النموذج الاصلي الذي تفهم من خلاله تجارب العالم الاخرى تصبح

أوروبا في هذا التصور أكثر من مجرد فضاء جغرافي او تاريخي وتصبح صورة معيارية للحداثة والعقلانية والدولة والتطور بينما تدفع المجتمعات الغير غربية الى الموقع المتأخر او الاستثنائي او الحالة التي تحتاج الى تفسير من خارجها.

لهذا تبدو المسألة معرفية قبل ان تكون مجرد موقف أيديولوجي معلن فالمشكلة ليست في ان تكون هنا نظرية اوروبية او غربية فهذا امر طبيعي بحكم السياق التاريخي الذي نشأت في هذه النظريات بل في ان تنسى هذه النظرية موقعها الخاص وان تقدم نفسها كما لو كانت وصف محايد للعالم باجمعه , وقد نبه الكاتب العالم سانجاي سيث في سياق نقده للسرديات الاوروبية عن الحداثة الى ان العالم الحديث لا يمكن فهمه كما لو انه ولد كاملاً داخل اوروبا ثم انتقل لاحقا الى بقية العالم مثل هذه السردية تخفي العلاقات الاستعمارية والتبادلات القسرية والتواريخ المترابطة التي ساهمت في تشكيل الحداثة نفسها.

في هذا الاتجاه ايضا يذهب هوبسون الى ان كثيرا من نظريات العلاقات الدولية لم تكن عالمية بالمعنى المدعى به بل حملت في داخلها تصور محلي غربي جرى تعميمه بوصفه معياري عام اهمية هذا النقد بانه لا يقف عند النصوص التي عبرت بصراحة عن تفوق الغرب او عن نزعات عنصرية واضحة بل يكشف الاشكال الاكثر هدوء وعمق للمركزية الاوروبية تلك التي تتكلم بلغة مفاهيمية مجردة لكنها تحتفظ بداخل بتاريخ خاص وبصورة معينةعن الحضارة والتقدم والسياسة هنا لا يكون الخلل في الانتماء الغربي للنظرية بل في تحويل الانتماء الى افق كوني غير معلن للعالم .

اما منظور ما بعد الاستعمار فلا ينبغي التعامل معه كما لو كان انه دعوة الى رفض الغرب كله او الغاء منجزات الحداثة الغربية دفعة واحدة وقوته تكم في ان يسال عن الشروط التي تتكون داخلها املعرفة وعن العلاقة بين انتاج المفاهيم وبنى القوة والهيمنة والسيطرة فهو لا يرى الا الاستعمار مجرد احتلال عسكري او سيطرة ادارية على الارض بل ينظر اليه ايضا بوصفه نظام لانتاج المعنى : يصنف الشعب ويعيد تمثيلها ويحدد من يملك حق الكلام باسم العقل والمدنية والتاريخ لذلك فان جملة او كلمة ما بعد الاستعمارلا تعني ان الاستعمار اصبح حدث من الماضي بل تشيرالى استمرار اثاره في اللغة والمؤسسات والخيال السياسي وطرائق التفكير.

يمكن فهم هذا الافق النقدي من خلال عدد من المفكرين الذين اسسوا له بطرق مختلفة ومن اهمهم المفكر والكاتب إدوارد سعيد في كتابه " الاستشراق " اظهر ان العالم الشرقي لم يكن موضوع بريء للمعرفة الاوروبية بل بناء خطابياً ساهم في تثبيت صورة الغرب عن ذاته وفي منح السيطرة الاستعمارية غطاء معرفي وثقافي ولم يكن سعيد يتحدث عن مؤامرة مباشرة بقدر ما كان يحلل الطريقة التي تتحول فيها المعرفة احيانا الى جزء من بنية الحكم والتمثيل اما فانون فقد نقل النقد الى مستوى التجربة النفسية والثقافية للمستعمر مبين ان الاستعمار لا يسيطر على الارض فقط بل يتدخل في ص ورة الانسان عن نفسه ويدفعه الى النظر الى ذاته من خلال عين المستعمر ومعايير المستعمر وشروطه .

وتضيف المفكرة سبيفاك الى هذا النقاش سؤال اكثر قلقا حين تسال هل يستطيع التابع ان يتكلم ؟ فالمشكلة عندها ليست مجرد ان صوت التابع غائب او ممننوع بل ان البنى المعرفية والسياسية كثيرا ما تسمح بتمثيله فقط عبر وسطاء يتحدثون باسمه فيعاد انتاج صمته حتى داخل خطاب يدعي الدفاع عنه اما المفكر هومي بابا يقدم زاوية اخرى من خلال مفاهيم مثل الهجنة والفضاء الثالث حيث لا تظهر الهوية الاستعمار او المضادة للاستعمار بوصفها هوية نقية ومكتملة بل بوصفها مجال ملتبس من التفاوض والمقاومة .

من هنا لا يطلب منظور ما بعد الاستعمار من الباحث ان يرمي المعرفة الغربية خارج الحقل بل ان يعيد مسائلتها من اين تتكلم وما الذي تفترضه وما الذي تجعله ظاهراً وما الذي تدفعه الى الهامش وتظهر أ همية هذا المنظور في العلاقات الدولية تحديداً لانه يكشف ان مفاهيم مثل السيادة والفوضى والتقدم والتطور والشرعية والنظام الدولي لم تتكون في فضاء فلسفي محايد بل داخل تاريخ طويل تداخلت فيه اوروبا الحديثة مع الاستعمار والامبراطورية والتفوق العنصري وتقسيم العالم معرفيا وسياسياً وبهذا المعنى يصبح نقد مركزية الغرب محاولة لفهم الحقل من داخله لا رفضا له من خارجها ومحاولة لتحرير النظرية من ادعاء الكونية المغلقة لا استبدا مركزية غربية بمركزية مضادة .

حضور مركزية الغرب في نظريات العلاقات الدولية :

يظهر حضور مركزية الغرب في نظريات العلاقات الدولية منذ اللحظة الذي يروى فيها تاريخ حقل العلاقات الدولية نفسه , فالسردية الشائعة التي تجعل صلح وستفاليا سنه 1648 بداية النظام الدولي الحديث , ثم تجعل سنه 1919 بداية الحقل الأكاديمي للعلاقات الدولية ظلت لفترة طويلة تعامل كانها حقائق تأسيسية مستقرة غير ان مراجعة هذا التاريخ تكشف انه هذه البدايات ليست بريئة تماما فهي لا تصف الماضي بقدر ما تعيد ترتيبه داخل قصة أوروبية مريحة تبدأ من أوروبا وتنتهي اليها وتصبح وستفاليا في هذه الرواية لحظة ولادة الدولة الحديثة والسيادة والنظام الدولي بينما يتراجع الى الخلف تاريخ اخر لا يقل اهمية عن ذاك , تاريخ الامبراطوريات والتوسع الاستعماري والعنف الذي رافق ادخال مناطق واسعة من العالم في بنية النظام الحديث .

من هنا لا تبدأ أسطورة صلح وستفاليا مجرد خطأ في التاريخ بل تكشف عن طريقة معينة في رؤية العالم فهي تجعل تشكل النظام الدولي يبدو وكما لو انه نتاج تطور أوروبي داخلي لا نتيجة علاقات واسعة ومترابطة بين أوروبا والعالم الخارجي وبذلك تحجب حقيقة ان ما يسمى تدويل النظام

الحديث لم يكن عملية سلمية أو قانونية فقط بل ارتبط ايضا بالاخضاع وبناء الهرميات الامبراطورية وفرض انماط معينة من الاعتراف والسيادة على الشعوب ومجتمعات لم تكن تمتلك القوة نفسها بلفي صياغه قواعد اللعبة الدولية وهنا تبدأ المركزية الغربية لا من مضمون النظرية فقط بل من شكل الحكاية التي يرويها الحقل عن نفسه.

في النظرية الواقعية تظهر هذه المركزية بصورة اقل مباشرة لكنها عميقة التاثير فالواقعية سواء في صيغتها الكلاسيكية او البنيوية تنطلق من مفاهيم الدول ةوالمصلحة القومية والقوة والبقاء والفوضى الدولية ومعضلة الأمن وهذه مفاهيم لا يمكن انكار اهميتها في فهم جانب واسع من السياسة الدولية خصوصا اذ قرئت في ضوء التجربة الاوروبية الحديثة وصراعات القوى الكبرى , غير ان المشكلة تبدأ عندما تتحول هذه التجربة الى نموذج تفسيري عام وكان السياسة الدولية لا يمكن فهمها الا من خلال تنافس الدول الكبرى داخل نظام فوضوي .

هذا التركيز الواقعي على الدولة والقوة والبقاء يجعل بعض الخبرات التاريخية اقل حضور في بناء النظرية فالامبراطورية والاحتلال والحروب غير المتكافئة والعنف الاستعماري والفاعلون غير ادلولتيين او العابرون للدول ةكثيرا ما يظهرون كهوامش او استثناءات لا كعناصر مؤسسة في تاريخ النظام الدولي لذلك يمكن القول ان الواقعية لم تقص الاستعمار دائماً بصورة صريحة لكنها غالبا لم تمنحه الموقع النظري الذي يستحقه فقد بقي المسحر الرئيسي في كثير من التصورات الواقعية هو مسرى القوى الكبرى بينما ظهرت الاطراف بوصفها مناطق تاثير او ساحات صراع لا بوصفها مواقع يمكن ان تعيد تشكيل المفاهيم نفسها .

وهنا تظهر مفارقة لافتة فالواقعية كثيرا ما تقدم نفسها باعتبرها رؤية صارمة وغير حالمة للسياسة الدولية رؤية لا تخدعها الشعارات الاخلاقية ولا الوعود الليبرالية لكنها في الوقت نفسه تمارس نوع من الانتقاء التريخي فهي تأخذ التاريخ ما يؤكد منطق الدولة الاوروبية وصراعاتها بينما تترك في الهامش خبرات المستعمرات والمجتمعات التي قسمت قسراً والعنف اليومي الذي انتجه البنى الكولونيالية (ألاستعمارية) , وحين تقرا مجتمعات اسيا او افريقيا او العالم العربي من خلاله هذه العدسة وحدها فانها تظهر غالبا اما بوصفها دولا لم تكتمل بعد او بوصفها مناطق اضطراب تؤكد صحة النظرية ليس بوصفها تجارب تكشف حدود هذه النظرية.

اما الليبرالية فتبدو في ظاهرها اقل حدة من الواقعية لانها تتحدث عن التعاون والمؤسسات الدولية والتجارة والاعتماد المتبادل وحقوق الانسان والديموقراطية وهي بذلك تفتح مجال اوسع للتفكير في امكان تجاوز الصراع الدائم بين الدول غير ان الليبرالية الدولية هي الاخرى تشكلت داخل تاريخ غربي محدد ارتبط بتجارب الاصلاح الدستوري والراسمالية التجارية والديموقرطاية الليبرالية ثم قدمت هذه التجارب لاحقا بوصفها الطريق الطبيعي للتقدم السياسي لذلك لا تكمن المشكلة في قيم مثل الحريةاو الحقوق او المشاركة السياسية من حيث هي قيم انسانية بل في تحويل صورتها الغربية الخاصة الى معيار وحيد لما ينبغي ان تكون عليه السياسة الرشيدة.

من هذا الباب وجدت قراءات ما بعد الاستعمار في الليبرالية الدولية ازدواجا لا يمكن تجاهله بسهوله فمن جهة تتحدث الليبرالية عن السلام والتعاون والمؤسسات والقانون ومن جهة اخرى يكشف التاريخ ان كثيرا من مناطق السلام داخل المركز الغربي ارتبطت بعلاقات عنف واكراه وفي الاطراف فالعالم الليبرالي لم يتشكل دائما خارج الامبراطورية بل في احيان كثيرة من داخلها وبواسطتها ولهذا فان الفصل بين فضاء ليبرالي متقدم وفضاء غير ليبرالي متاخر يعيد انتاج ثنائيات قديمة بين المدني وغير المدني والعقلاني وغير العقلاني والناضج سياسيا ومن يحتاج الى وصاية او اعادة تشكييل .

وقد اشار المفكر طارق برقاوي ومارك لافي الى ان افهم السلام الليبرالي يظل ناقص اذا تم عزله عن الاطار الامبراطوري الأوسع الذي ساهم في انتاجه فالسلام داخل المركز لا ينبغي ان يقرأ كجزيرة أخلاقيه مستقلة عن العنف الذي مورس خارجه ومن هنا يصبح سؤالنا هل كانت الليبرالية دائما مشروع تحرير ام انها حملت في داخلها ايضا قابلية للتحول الى خطاب وصاية وتدخل واعادة هندسة سياسية هذا السؤال لا يلغي منجزات الليبرالية لكنه يمنع التعامل معها كجوهر نقي او كمسار تاريخي خرج من اوروبا مكتملا ثم انتقل الى بقية العالم فالليبرالية نفسها تشكلت عبر احتكاكات وتورات بين اوروبا وغير اوروبا وبين المركز الاستعماري والفضاءات التي خضعت له او قاومته .

تبدو نظرية التحديث اوضح مثال على تحويل المسار الغربي الى سلم تاريخي عام ففي صيغها الكلاسيكية وخصوصا عند روستو يفهم التطور بوصفه انتقال خطي من المجتمع التقليدي الى المجتمع الصناعي الحديث ثم الى مرحلة الاستهلاك الواسع بهذا المعنى لا ترى المجتمعات غير الغربية باعتبرها مختلفة في تاريخها وشروطها بل باعتبارها متاخرة زمنيا عن الغرب وكأن الغرب يمثل المستقبل الذي ينتظر الاخرين وما على هؤلاء الا ان يختصرو المسافة ويلحقو به .

جاذبية نظرية التحديث جاءت من بساطتها الظاهرة فهي تقدم مسار واضح ومراحل مرتبة وتمنع صانعي السياسة والباحثين لغة سهلة لتفسير الفقر والتخلف والتنمية لكنها في العمق تحمل افتراض هرمي ان الغرب هو النموذج وان بقية العالم تقف في درجات ادنى على الطريق نفسه وبدل ان تسال هذه النظرية عن الاستعمار وتقسيم العمل الدولي ونهب الموارد والعلاقات الاقتصادية غير المتكافئة التي ساهمت في انتاج التأخر وجعلت المشكلة في المجتمعات الغير غربية ذاتها في تقاليدها ومؤسساتها وثقافتها وضعف عقلانيتها الادارية والسياسية

لذلك لم يكن نقد نظرية التحديث مجرد خلاف داخل دراسات التنمية بل كان جزء من نقد اوسع لطريقة انتاج المعرفة في العلوم الاجتماعية بعد الحرب العالمية الثانية فقد ساهمت هذه النظرية في نقل مركزية الغرب من مستوى السياسة الدولية الى مستوى التاريخ الاجتماعي نفسه لم يعد الغرب مجرد قوة مهيمنة في النظام الدولي بل صار معيارا للزمن التاريخي من يشبهه يعد متقدما ومن يختلف عنه يعد متاخرا وهذا بالضبط ما يجعل النقد ما بعد الاستعماري مهم لانه لا يكتفي بالسؤال عن نتائج النظرية بل يسال افتراضاتها الصامنة من يحدد معنى التقدم ومن يملك حق ترتيب المجتمعات على سلم واحد؟

ولا تقف مركزية الغرب عند حدود النظريات الكبرى بل تظهر كذلك في توزيع العمل المعرفي داخل الحقل فكثيرا ما تقرأ تجارب العالم العربي وافريقيا واسيا بوصفها حالا تطبيقية او مناطق اختبار للنظريات لا بوصفها مصادر ممكنة لانتاج مفاهيم جديدة بعبارة اخرى بمعنى أدق يمنح المركز الغربي موقع انتاج النظرية بينما يترك الجنوب العالمي في موقع المادة الخام مثل وقائع وازمات وحروب اهلية ودول فاشلة وتحولات ديموقراطية ناقصة او تجارب تنموية تحتاج الى التفسير وهكذا تصبح المعرفة نفسها موزعه بصورة غير متكافئة هناك من يضع المفهوم وهناك من يتحول الى مثال عليه.

وفي السياق العربي يتخذ هذا الأمر شكل اكثر وضوحا فالتجربة العربية بما تحمله من استعمار وانتداب وتقسيم حدود وقضية فلسطينية وثورات وانظمة سلطوية وتدخلات خارجية كان يمكن ان تكون مصدر غني لتطوير مفاهيم في السيادة والشرعية والدولة والعنف والاعتماد والمقاومة غير ان ضعف المؤسسات البحثية والقيود السياسية ومحدودية التمويل وهيمنة الاطر الاكاديمية الغربية جعلت تحويل هذه التجربة الى مساهمة نظرية مؤثرة امراً شديد الصعوبة وفي الحالة الافريقية ايضا لم تكن القارة مجرد موضوع للسياسات الدولية او حقل لدراسة النزاعات والتدخلات بل يمكن ان تكون موقع لبناء النظرية نفسها اذ جرى التعامل مع خبراتها لا كمادة هامشية بل كمصدر لاعادة التفكير في مفاهيم الحقل .

بهذا المعنى لا يعني نقد مركزية الغرب في نظريات العلاقات الدولية إنكار قيمة الواقعية او الليبرالية او حتى بعض أسئلة التحديث بل يعني رفض تحويلها الى لغة وحيدة لفهم العالم , فكل نظرية ترى شيء وتغفل عن شيء اخر وكل مفهوم يحمل اثر التاريخ الذي خرج منه , والمشكلة تبدأ عندما ينسىهذا الاثر وعندما تقدم التجربةالغربية بمركزية مضادة بل فتح الحقل امام تعدد الخبرات التاريخية بحيث لا تبقى النظرية امتياز لمكان واحد ولا يبقى بقية العالم مجرد شاهد عل بصحة مفاهيم صيغت في مكان اخر.

نحو فهم اكثر تعددية وعدالة للعلاقات الدولية اذ كان تشخيص المركزية الغربية ضروري فانه لا يكفي لوحده فالسؤال المهم والاهم ما الذي يمكن ان يحل محل القراءة الاحادية في العالم؟ لا يبدو الجواب في انشاء مركزية مضادة .. ترد اوروبا الى الهامش فحسب ولا في الاحتفاء الرومانسي بكل ما هو محلي ما يحتاجه الحقل هو صيغة اكثر صرامة واكثر تواضعاً في الوقت نفسه صرامة في مساءلة ادعاء الكونية عندما يصدر عن تاريخ خاص وتواضع في الاعتراف بان النظرية الدولية لا يمكن ان تبنى من موقع حضاري واحد هنا تكتسب فكرة اشاريا عن الكونية التعددية قيمتها فهي لا تدعو الى الانسحاب الى هويات مغلقة بل لتوسيع المعقول النظري بحيث تعامل الخبرات المهملة بوصفها مساهمات في الكلي لا اضافات زخرفية على هامشه .

هذا التحول يقتضي اولا اعادة كتابة تاريخ العلاقات الدولية كتابةً عالمية لا تبدأ من اوروبا وحدها ولا تقف عندها فالسردية التي تجعل 1648 لحظة ميلاد النظام الدولي تحجب انماطاً اخرى من التنظيم والتفاعل والشرعية سبقت الدولة القومية الاوروبية او تزامنت معها لذلك فان ادخال تاريخ الامبراطوريات والروابط العابرة للاقاليم والعلاقات الاسيوية الافريقية الاوروبية ليس تصحيح اضافي بل مراجعة للهيكل الذي بني عليه الحقل وقد نبهت اعمال حديثة الى ان التركيز علم صعود الغرب ووستفاليا كنقطة بداية يحجب مساهمات حضارات اخرى في تشكل النظام العالمي وينتج فهم ضيق للعلاقات الدولية ويقتضي ثانياً تغيير معنى النظرية نفسها فحين يعرف العمل النظري بانه انتاج مفاهيم مجردة على النمط السائد في المركز تدفع الكثير من اشكال الفكر السياسي غير الغربي الى خانة الخبرة المحلية او التراث الثقافي او الدراسات الاقليمية لكن هذا التعريف نفسه جزء من المشكله ان تجارب العرب والافارقة والاسيويين مع الاستعمار والتحرر والدولة ما بعد الاستعمار والحدود المصطنعة والديون والوصاية الانسانية والعنف اليومي ليست مواد تطبيقية فحسب بل انها مجالات تنتج اسئلة لا تلتقطها النظريات المهيمنة دائماً.

ومن هنا لا يعود المطلوب فقط ادخال موضوعات جديدة بل السماح لمواضع النظر المختلفة بان تعيد صياغة الاسئلة والمفاهيم من جذورها .

ويتوجب ثالثاً مراجعة الممارسة الاكاديمية نفسها فالتعددية لا تتحقق بمجرد اضافة نص عربي او افريقي الى قائمة قراءة صيغت معاييرها سلفاً في مكان اخر وقد اوضحت دراسات حديثة ان كثيراً من المقررات ما زالت تبقي اصوات الجنوب في خانة المنطقة بينما تحتفظ للغرب بخانة النظرية كما ان انماط التعليم والنشر قد تعيد انتاج تبعية معرفية حتى داخل الخطابات الداعية الى العالمية لهذا تبدو الدعوة الى تفكيك القوائم القرائي والانفتاح على اللغات غير المهيمنة والاعتراف بالبحث المتجذر محلياً جزءاً من اصلاح الحقل لا مجرد مسالة تمثيل رمزي وفقط.

ويقتضي رابعاً تبني حس منهجي مختلف في القراءة اي القراءة الطباقية التي تقترحها المفكرة بينار بيلغين استلهاماً من يعيد ، مفيدة هنا لانها لا تكتفي باضافة قصة من الهامش الى القصة المركزية بل تظهر كيف تشكلت القصتان معاً وكيف ان المركز نفسه لا يفهم الا بعلاقته بالهامش الدي اخفاه بهذا المعنى لا تقرأ الليبرالية مثلا من داخل تطورها الاوروبي فقط بل ايضا من خلال محك الاستعمار والانتداب والتدخل والسلام

الامبراطوري ولا تقرأ الواقعية من داخل توازن القوى وحده بل من خلال الصمت عن الامبراطورية والعنصرية والتفاون هذه القراءة اقل راحة لكنها اقرب للتاريخ الفعلي للعالم.

ومع ذلك فان اي مشروع لتوسيع الحقل يجب ان يتجنب خطأين متقابلين الاول هو الاكتفاء بادناج ليبرالي ناعم للاطراف وبحيث تبقى البنية كما هي ويضاف عليها قدر من التنوع الشكلي والثاني هو الانزلاق الى قوميات معرفية مغلقة كان الحل هو ان تبني كل منطقة نظرية خاصة بها بمعزل عن العالم النقد الجاد لمركزية الغرب لا يدفع نحو محلية مكتفية بذاتها بل نحو حوار غير هرمي بين تجارب متكافئة في الحق النظري .

لذلك كان تنبيه تشينغ تشانغ تشن والعديد من النقاد مهماً : توسيع الحقل لا يصبح ديمقراطياً حقاً ما لم يراجع اسسه المعرفية لا مجرد جغرافيته البشرية

ومن هذه الزاوية تبدو العدالة المعرفية في العلاقات الدولية جزء من العدالة السياسية نفسها حين تظل شعوب كاملة موضوع للحديث لا شركاء فيه فان اختلال التمثيل المعرفي يمضي قدما الى امتداد لاختلال القوة في العالم ولذلك فان اعادة بناء الحقل على اسس اكثر تعددية لا تخص الجامعات وحدها فانها تمس طريقة فهم الحرب والسلام والتنمية والسيادة وحقوق الانسان والشرعية الدولية وما لم تتسع النظرية لمن تكونو في ظل الاستعمار والتبعية والاقلاع والمنفى والوجود والحدود المفروضة فانها ستبقى قادرة على تفسير جزء من العالم وعاجزة عن فهم العالم بأكمله .

الخاتمة والمراجع :

خاتمة :

انتهى هذا البحث الى ان مركزية الغرب في نظريات العلاقات الدولية ليست مجرد ميل ثقافي او تحيز عرضي يمكن تخفيفه ببعض التوازن في الامثلة انها اعمق واكبر من ذلك , بنية تحدد ما الذي يعد التاريخ المؤسس وما الذي يعد مفهوم عام , ومن الذي يسمح له بانتاج النظرية ومن الذي يدفع الى هامش الخبرة التطبيقية ومنظور ما بعد الاستعمار مهم هنا لانه لا يكتفي بتسجيل الغياب بل يفضح الشروط التي جعلت هذا الغياب يبدو معقولا طبيعيا ولهذا فان مساهمة سعيد وفانون وسبيفاك والعديد من المفكرين في تقديم مدرسة بديلة جاهزة بل في زعزعة الاطمئنان الذي تكلمت النظرية الدولية عن ذاتها وفي فتحها على تاريخ اكثر خشون ة وعلى عالم اكثر امتلاءً بالاصوات والكسور والتجارب .

النتائج :

يمكن تلخيص النتائج الاساسية في خمس صلات مترابطة بعضها ابعض , الأولى ان الواقعية الليبرالية ونظرية التحديث لم تكن نظريات كاذبة بالمعنى البسيط لكنها اشتغلت في كثير من الاحيان داخل افق تاريخي عربي جرى تعميمه بصفته افق كوني الثانية ان الاستعمار لم يكن حدث خارجي بالنسبة للعلاقات الدولي بل جزء من الشروط التي تشكل فيها الحقل ومفرداته , الثالثة ان تهميش العرب والافارقة والاسيويين في الحقل لم يكن فقط تهميش لاجساد ومؤسسات بل ايضا تهميش لفدرتهم على انتاج المفاهيم والرابعة ان تقد ما بعد الاستعمار لا يهدف الى الغاء المعرفة الغربية بل الى ردها لشروطها لتاريخية وفتح المجال امام كونية اكثر تواضع وتعدد والخامسة ان اصلاح الحقل لا يكتمل بتوسيع التمثيل الجغرافي وحده بل يحتاج لمراجعة معيارية ومعرفية لمفهوم النظرية ولتاريخ الحقل ولآليات النشر والتدريس والاعتراف الاكاديمي .

قائمة المراجع العربية:

المسيري، ع. الوهاب (محرر) .(1996) .*إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد* .المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

سعيد، إ .(2022) .*تغطية الإسلام: كيف تتحكم أجهزة الإعلام ويتحكم الخبراء في رؤيتنا لسائر بلدان العالم* (م. عناني، مترجم). مؤسسة هنداوي.

سعيد، إ .(2022) .*المثقف والسلطة* (م. عناني، مترجم). مؤسسة هنداوي.

سعيد، إ .(2024) .*الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق* (م. عناني، مترجم). مؤسسة هنداوي.

References

Acharya, A. (2014). Global international relations and regional worlds: A new agenda for international studies. *International Studies Quarterly, 58*(4), 647–659.

Acharya, A. (2016). Advancing global IR: Challenges, contentions, and contributions. *International Studies Review, 18*(1), 4–15.

Acharya, A., & Buzan, B. (2007). Why is there no non-Western international relations theory? An introduction. *International Relations of the Asia-Pacific, 7*(3), 287–312.

Acharya, A., & Buzan, B. (2010). *Non-Western international relations theory: Perspectives on and beyond Asia*. Routledge.

Acharya, A., & Buzan, B. (2017). Why is there no non-Western international relations theory? Ten years on. *International Relations of the Asia-Pacific, 17*(3), 341–370.

Barkawi, T., & Laffey, M. (1999). The imperial peace: Democracy, force and globalization. *European Journal of International Relations, 5*(4), 403–434.

Bhabha, H. K. (1994). *The location of culture*. Routledge.

Bilgin, P. (2016). "Contrapuntal reading" as a method, an ethos, and a metaphor for global IR. *International Studies Review, 18*(1), 134–146.

Chen, C.-C. (2011). The absence of non-Western IR theory in Asia reconsidered. *International Relations of the Asia-Pacific, 11*(1), 1–23.

Cox, R. W. (1981). Social forces, states and world orders: Beyond international relations theory. *Millennium: Journal of International Studies, 10*(2), 126–155.

El Kurd, D. (2023). Elusive decolonisation of IR in the Arab world. *Review of International Studies, 49*(3).

Fanon, F. (2008). *Black skin, white masks* (Original work published 1952). Grove Press.

Fanon, F. (2021). *The wretched of the earth* (Original work published 1961). Grove Press.

Hobson, J. M. (2012). *The Eurocentric conception of world politics: Western international theory, 1760–2010*. Cambridge University Press.

Hoffmann, S. (1977). An American social science: International relations. *Daedalus, 106*(3), 41–60.

Said, E. W. (1978). *Orientalism*. Routledge & Kegan Paul.

Said, E. W. (1994). *Culture and imperialism*. Vintage Books.

Seth, S. (2011). Postcolonial theory and the critique of international relations. *Millennium: Journal of International Studies, 40*(1), 167–183.

Seth, S. (Ed.). (2013). *Postcolonial theory and international relations: A critical introduction*. Routledge.

Spivak, G. C. (1988). Can the subaltern speak? In C. Nelson & L. Grossberg (Eds.), *Marxism and the interpretation of culture* (pp. 271–313). University of Illinois Press.

Tickner, A. B. (2013). Core, periphery and neo-imperialist international relations. *European Journal of International Relations, 19*(3), 627–646.

Vitalis, R. (2015). *White world order, black power politics: The birth of American international relations*. Cornell University Press.

Wæver, O. (1998). The sociology of a not so international discipline: American and European developments in international relations. *International Organization, 52*(4), 687–727.